مسيحيو مصر ودورهم في الحياة السياسية ١٨٧٩-١٩٢٢

أ. م. د. إطلال سالم حنا
جامعة الحمدانية – كلية التربية

الملخص

تعد السياسة التي انتهجها حكام مصر من عدم التمييز والتسامح قد ساهمت بشكل كبير في بث روح المواطنة والمساواة بين مكونات المجتمع المصري، ومن هنا جاءت دراستنا لتسليط الضوء على مسيحيي مصر ودورهم في السياسة المصرية للفترة ١٨٧٩-١٩٢٢، من خلال ثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت اهم الاستنتاجات التي توصلت اليها الدراسة.

جاء القرن التاسع عشر ليقدم شكلا جديداً للعلاقة بين المسلمين والمسيحيين، ويترجمها على ارض الواقع حكام مصر من اسرة محمد علي تحديدا، ويخططوا لعهد جديد اساس بنيانه الوحدة الوطنية مؤكدين بان المشاركة السياسية مفتوحة لجميع المصريين من الكفاءات وان اختلفوا في الدين، كلها شعارات تبناها الوطنيون المسلمون والمسيحيون لاسيما بعد اصدار تصريح شباط ١٩٢٢، ومحاولة سلطات الاحتلال البريطاني اثارة مسالة تمثيل الاقليات.

الكلمات المفتاحية: المواطنة، المسلمون، المسيحيون، الوحدة الوطنية، الفتنة الطائفية.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 9, Issue 30, Nov 2022
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Christians of Egypt and their role in political life 1879-1922

Etlal Salim Hanna
University of AL-Hamdaniya
College of Education

Abstract

The policy pursued by the rulers of Egypt of non-discrimination and tolerance has greatly contributed to spreading the spirit of citizenship and equality among the components of Egyptian society, and from here our study came to shed light on the Christians of Egypt and their role in Egyptian politics for the period 1879-1922, through three sections and a conclusion that included the most important conclusions that the study found.

The nineteenth century came to present a new form of the relationship between Muslims and Christians, translated on the ground by the rulers of Egypt from the family of Muhammad Ali in particular, and they planned for a new era that would build the foundation of national unity and to confirm that political participation is open to all Egyptians of competencies even if they differ in religion, All are slogans adopted by Muslim and Christian patriots, especially after the February 1922 declaration, and the British occupation authorities' attempt to raise the issue of minority representation.

Keywords: Citizenship, Muslims, Christians, National Unity, Sectarian strife.

المقدمة:

يعد مسيحيو مصر أحد مكونات المجتمع المصري الذين كان لهم دور كبير في التأسيس والمشاركة في العملية السياسية في مصر، وهذا عائد الى ولاة مصر وتوجهاتهم السياسية في تثبيت اركان الدولة منذ عهد الوالي محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة وخلفائه في الحكم، الذين نجحوا في تقوية النسيج الاجتماعي المَصري، فضلاً عن اندماجهم واسرهم في المجتمع المصري، مما بعث روحاً جَديدة كان لهَا الاثر الكبير في تَقدم مصر السياسي.

تنبثق اهمية الدراسة انها من الدراسات التي تناولت الحياة السياسية في مصر ومشاركة المكون المسيحي في التأسيس واسلوب الحكم جنباً الى جنب مع مواطنيهم المسلمين.

ومن هنا فإن دراسة مسيحيو مصر ودورهم في الحياة السياسية ١٨٧٩-١٩٢٢، وهي فترة مهمة في تاريخ مصر الحديث، ولاسيما بعد ان تهيأت كل العوامل الداخلية والخارجية لإحداث تغيير شامل في العملية السياسية كان المكون المسيحي أحد اركانها.

تشير الدراسات التاريخية الى ان الحياة السياسية في مصر بدأت تتخذ شكلها الدستوري منذ اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، واجمعت على انه تم تحسين اوضاع المسيحيين السياسية برغبة حكام مصر واهلها لإنشاء دولة عصرية، وهذه كلها تأتي من خلال الاجابة على التساؤلات الاتية:

- ماهي السياسة التي انتهجها حكام مصر لإجراء التغيير؟
- ماهي العوامل التي مهدت لانطلاق الحياة السياسية؟
- كيف كان مسار العملية السياسية في مصر؟
- ماهي ردود فعل المسلمين والمسيحيين تجاه الاحتلال البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى؟

قسم البحث الى ثلاثة مباحث، تضمن المبحث الاول العوامل التي ادت بالمسيحيين للمشاركة في العملية السياسية، وتطرقنا في المبحث الثاني الى موضوع المسيحيون في المناصب القيادية العليا، اما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان المسيحيون ودورهم في السياسة المصرية عهد التعددية الحزبية.

اعتمد البحث المنهج التاريخي في تدوين الاحداث التاريخية بموضوعية وعلمية.

المبحث الاول: العوامل التي ادت بالمسيحيين للمشاركة في العملية السياسية

ان الحديث عن مسيحيي مصر ودورهم في السياسة المصرية يتحتم علينا العودة الى الجذور التي ادت الى دخولهم ومشاركتهم الحياة السياسية اسوة بمواطنيهم المسلمين جنبا الى جنب، وهذا يعود بالتأكيد الى عهد الوالي مُحمد علي باشا ١٨٠٥–١٨٤٨، اذ نجح في ادمَاج شَخصيته وشَخصية اسْرته في المجتمع المصري، مما زادته قوة في النسيج الاجتماعي المَصري وبعث روحَا جَديدة كان لهَا الاثر الكبير في تَقدم مصر السياسي والاجْتماعي من خلال تأسيسه لمجلس المشورة الذي ينتخب اعضاؤه بالتعيين[1].

تهيأت الظروف ليؤسس تجربته التحديثية على اسَاس المُواطنة دونَ تمييز لايٍ شخص لا في الدين او العرق او اللَون، وينقل لنا مؤرخو عصره بانه لم يُفكر ابدا في بْناء التَربية الصحيحة على قَاعدة اساسها الدين والادب، لأنه علم جيدا بأن فْكرته القَائمة على اساسِ المُواطنة ليْست مكرمة او منحة من أحَد لاي مواطن مصري، وليْست مَشروطة بِرغبة جهة سياسية او دينية او اي طَرف اخر في منْحها، بل هي حَق وواجُب للجميع لا يُمكن الحْصول عَليهما إلا في ظْل نظَام ديمقراطي يقُوم عَلى اسَاس المُساواة و يَكفل مشَاركة سْياسية قائمة على اساس التعددية تحكمها دولة القانون القوية المبنية على المَصلحة الوطنية لضمان الحقوق الاجتماعية للجميع[2]. اذ ذَكر بهَذا الصَدد بانهُ قَضى الشَطر الاكْبر من حَياته وحْيداً لا يَجد من يُؤازره غَير بُوغوص باشا الارْمني"[3].

عرفت مصر الحياة البرلمانية منذ عام ١٨٦٦، عندما تأسس مجلس شورى النواب بناء على مرسوم صادر من قبل الخديوي اسماعيل[4]ولم يكن لهذا المجلس سلطات او صلاحيات دستورية، كما هي في الانظمة الديمقراطية، الا انه تطورت سلطاته مع اقتراب نهاية القرن التاسع عشر[5].

نص مرسوم عام ١٨٦٦ على جملة من الامور الهامة الخاصة بالانتخابات منها ان كل شخص من حقه الترشيح للمجلس على شرط ان يكون قد بلغ عمره خمس وعشرون سنة، فضلا عن انه يجب ان يكون أمينا في عمله مخلصا للبلاد مولوداً في مصر لإشاعة المساواة بين الجميع، وعليه ضم المجلس اعضاءً مسيحيين من الاقباط منهم ميخائيل اثناسيوس عن محافظة المنيا وبني مزار، وجرجس برسوم عن السويف والفيوم، كما دخل المجلس المشكل في عام ١٨٧٠ اعضاء جدد مثل حنا يوسف عن محافظة المنيا وفرج إبراهيم عن محافظة أسيوط[6].

ان الاجراءات التي اتخذتها الحكومات المصرية منذ بداية التاريخ الحديث وتحديدا منذ عهد محمد علي باشا، اثرت ذلك على وضع مسيحيي مصر السياسي، وما ان شارف القرن

التاسع عشر على نهايته حتى نجد بان معاناتهم قد بدأت تضمحل تدريجيا بصورة واضحة للعيان وكانت تلك التفرقة بسبب سياسة التمييز والاختلاف في الدين[7] . وكان اهم عمل للخديوي اسماعيل هو اعادته العمل بمجلس شورى النواب الذي تأسس منذ العام ١٨٦٦م، وكان اعضائه ينتخبون بأغلبية الاصوات في البلاد، ولرئيسه المجلس صلاحية تعيينهم، ومن هنا يتضح لنا بأن الانتخاب كان على اساس الثروة ولذلك نجد اغلب المنتخبين هم من الاغنياء[8].

لذا تعددت العوامل التي ادت بالمسيحيين الى الدخول في العملية السياسية منذ القرن التاسع عشر بين عوامل داخلية خاصة بمصر من تولي شخصيات معتدلة في توجهاتهم السياسية للحكم ورغبتهم الكبيرة في تحقيق المواطنة، الى عوامل دولية اثرت وبشدة على وضعهم العام التي اثرت بالتالي على وضعهم السياسي ايضاً منها:

١- الغاء الجزية واشَاعة المساواة بين أبنَاء الوطن

كان الوالي محمد علي اول حاكم مصري يحاول جاهدًا لإشاعة روح المساواة بين ابناء البلد وازالة الفوارق بينهم، وقد سار خلفاء من بعده على نفس المنوال فنجد الوالي سعيد ١٨٥٤-١٨٦٣من حيث اشَاعة المساواة بينهم، بغَض النظَر عن ديانْتهم او عرقهم أو قوميتهم، وحرص في تصريحاته على التأكيد بان المَصريين جميعاَ متَساوون امام القانون بالْحقوق والوَاجبات، وكان الاجراء الذي يعد طفرة نوعية في تاريخ مصر عبر تاريخها تحسب إصدارة مَرسوما يقضي بإلغَاء الجْزية رسْميا في البلاد وذلك في العَام ١٨٥٥[9]. التي كانت تجبى بناء على الأوامر السلطانية في اسطنبول التي كانت تقوم بإرسال برقيات سنوية للحصول على الجزية من غير المسلمين من خلال الوالي العثماني المقيم في مصر، بعدها يتم رفع الطلب لإصدار الإرادة السلطانية بالموافقة على اخذ الجزية السنوية من الطوائف المسيحية (اهل الذمة) لا بل كانت السلطات العثمانية الحاكمة في مصر تطالب بالإسراع في جبايتها[10].

وبموجب المرسوم الذي اصدرَه الوالي سعيد نلاحظ بان اصْبح جَميع المصريين في البلاد خَاضعين للضَريبة المُوحدة وتحت حكم دولة يسودوها ويحكمها القَانون[11]. في اشارة الى انهم مواطنون ولم يعودوا بحاجة الى دفع الاموال مقابل حمايتهم والدفاع عنهم.

كان الوالي سعيد طَموحا يسْعى جاهدا بكل الطرق والوسائل لاسْتقلال مصر عنْ الدَولة العْثمانية، اذ ابدَى تَسامحا مع الاقَليات الدْينية لإضعاف نُفوذ السلطة العثمانية، فضلاً عن تقْوية وتَثبيت نفوُذه، واكد بان فْكرة الاستقلال قد شغلت تفكيره لفترة طويلة وام تفارق عقله لذلك نجده يبدي اهْتماما بالجيش لزْيادة قُوته العسكرية[12].

لم يكن الوالي سعيد يعلم بان اجراءاته تلك ستنعكس على العلاقات بين ابناء الديانات اكثر مما كان يطمح هو، فلم نجد ما ينفر منه المسلمون بسبب المساواة، لا بل تحسنت العَلاقات بين المواطنين المصريين جميعا من مسلمين ومسيحيين بصورة تظهر للعيان بانها قامت على اساس متين جدا الا وهي الوحدة الوطنية[13].

جاء اصدار الخَط الهمايوني من قبل السُلطان عَبد المَجيد الثَاني في ١٨ شباط ١٨٥٦، نقطة الانطلاق التي ساهمت فْي اسْتقرار حُكمه في البِلاد[14]؛ لأَن المَرسُوم الهَمايوني اكد على المُساواة فْي الحقْوق والوَاجبات بين المواطنين كافة من المسْلمين والمَسيحيين واليهود فْي الوظَائف العامة في الدَولة العُثمانية، فضْلا عن تَشكيل مَجالس يَحكمها العلمانيين ورِجال الدْين...الخ[15]. ومن هنا انبثقت العلاقات اسلامية –مسيحية متينة في البلاد، وهذا ما اكده بلنت بان العلاقات بين المسلمين والاقباط على احسن ما يرامْ[16].

كان شعار مصر للمصريين الحجر الاساس الذي تبنته الحركة الوطنية اذ وضع كل من محمد عبدة[17] ولويس صابونجي[18] برنامجاً وطنيا يؤكد على الوحدة الوطنْية بغض النظر عن الدين او المذهب او المعتقد فمهدوا لتأسيس حزب سياسي انضم اليه وحسب تصريحات قادته كل من يحرث ارض مصر ويتَكلم لغتها، فالجَميع اخوة ومتساوون في الحقوق والواجبات، وبدت بوادر انطلاق ثورة وطنية واضحة للعيان بسبب سياسة التمييز بين العرب والاتراك في الجيش المصري[19]. في الوقت الذي كانت البلاد في غليان شديد اذ قام الخديوي توفيق[20] ومعه رئيس الحكومة رياض باشا[21] بحكم البلاد حكما مطلقا فتعطل مجلس شورى النواب وتجمد العمل بدستور عام ١٨٧٩، وبدأت بوادر ثورة مصرية بسبب سياسة التمييز التركية، اذ اكد الحزب الوطني في تصريحاته على وحدة الشعب المَصري الواحد بعيداً عن الدينْ او المّذهب[22] .

يتضح لنا بان العلاقات بين المسلمين والمسيحيين كانت ابان القرن التاسع عشر وحتى العام ١٩٢٢ قائمة على المودة والاخاء، الا في بعض الفترات التاريخية وهذا عائد بالطبع الى التدخل الاجنبي، وابرز ما يمكن ان نلاحظه الاضطرابات والفوضى التي حدثت في عهد الخديوي توفيق عام ١٨٨٢، والفترة ١٩١٠–١٩١١ نتيجة سياسة الحاكم البريطاني في مصر اللورد كرومر Evelyn Baring Cromer١٨٨٢–١٩٠٦، الامر الذي ادى بالنهاية الى الاتحاد القومي بينهما[23].

وعلى امتداد القرن التاسع عشر كان ادراك المسلمون والمسيحيون يتبلور بصورة اساسية حول مفهوم الشعب الواحد، وهذا ما اكدوه شيوخ الازهر، ومنها رفض الشيخ الجزراوي ابعادهم عن مصر الى السودان كونهم ذمة في اعناق المسلمين وهم مواطنون حالهم حال مواطنيهم

المسلمون، وعلى عهد الخديوي اسماعيل نجد انهم في مجلس شورى النواب انشاء مدارس رحب النواب بالفكرة داعيا الى دخولها كل من يرغب من المصريين بغض النظر عن دينهم كونهم امة واحدة وشعب واحد[24].

عموما ومن خلال ما اوضحناه يمكننا ان نجزم بان مسيحيو مصر عامة والأقباط بشكل خاص مروا بمراحل مختلفة من التَكامل وحُرية الممارسة والمُعاملة المُتساوية في المجتمع المَصري عبِر الرؤسَاء المُختلفين الذْين حكموا البلاد بأجْنداتهم السياسية، وقد حصَلوا على وعُود بِحقوق سْياسية ومَدنية، دخلت بعْضها حيز التَنفيذ واسْتخدم الكَثير منهَا كَبيان سْياسي لضَمان الحْفاظ عَلى عَلاقة جَيدة مَع الكَنيسة بالتحديد[25] .

٢- استخدام بريطانيا لسياسة فرق تسد Devide in order to conquer

لم تكن سياسة فرق تسد Devide in order to conquer غائبة عن السياسة البريطانية فنجد بحسب راي اللورد كرومر انه كان يرغب بتطبيق(العدالة الانكليزية) تجاه المسلمين المصريين وليس الاعتماد على منطقية الشرق حسَب وصفه، في خطوة منه لمحاباة للمسلمين ومحاولة منه ايضا لاستقطاب المسيحيين الشاميين في الوَقتِ نفسه[26].

بذل اللورد كرومر طيلة فترة حكمه لمْصر جهودا كبيرا في محاولة التفْريق بين المُسلمين والمَسيحيين بهدف اثَارة الفتنة بَينهما كخَط سْتراتيجي اسْتعماري نَتيجة لعَدم استجابتهم للمَشاريع الاسْتعمارية البْريطانية وَهاجمهم هجوما شديْدا الى حَد إنْكاره لمَسيحيتهم واصفا المسيحي بانه في نفس المعتقل ونفس الأغلال التي قيدت المسلم[27]. ومن هنا انبثق شِعار مصر للمَصريين وبشكل واضح للعيان فلجات بريطانيا لتفكيك الوحدة الوَطنية عن طَريق اثارة الشقاق بين المسيحيين والمُسلمين والتعامل معهم على اساس مذهبي بهدف عزلهم وابعادهم عن الحَركة الوطنية، وكأسلوب متبع للمحتل بتَفتيت المؤسسة الدينية المسحية، تزامنا مع محاولة فرنسا الظهور بمظهر الحامية للكاثوليك، والحماية الروسية للأرثوذكس، ومحاولة الولايات المُتحدة الأمْريكية حماية الإنجيليين[28]. منطلقين من مبدا ان تخضع الاقلية في الشرق الى الاغلبية، فنقلوا في مراسلاتهم الرسمية بأن "المسلم متعصب بالنسبة الى المسيحي فهو لا يأكل معه، لأنها ابرز سماته ... يحمل كراهية كبيرة للمسيحيين واليهود معاً ... يحمل البغضاء تجاه الاخر"[29]. اذ كان جل همهم حسب الضغط على السلطات الحاكمة أي الدولة العثمانية لاستخدام المسيحيين كورقة ضغط لانهم استخدموا اسلوب التأديب اثناء الثورة العرابية على حد تعبيرهم لاسيما السلطات المصرية الحاكمة آنذاك لانهم يعانون من الفساد وعيوبه الذي انتشر حيث تواجدت "الاضطرابات"[30]. في اشارة الى الثورة العرابية التي اعتبروها اضطرابات .

حاولت بريطَانيا استمالة المسيحيين بصورة خاصة الى جانبها لاسيما بعد ان نظروا اليها كمنقذ لها في بادئ الامر، الا ان تصريحات عرابْي الوطنية جاءت كالصاعقة على بريطانيا اذ اكد بان وجودهم في السُلطة امر ضروري كونهم شركاء في الوطن، اذ لَم يستمْر الامر طويلاً حتى تأكدوا بانها تنبذهم وكان اللورد كرومر قد اعلن بانَ الَحياد التام الذْي اتخذته بريطانيا كان غريبا عليْهم[31] فتم على اثرها اقصاء المسيحيين والرؤساء من الاقباط من الإدَارات والمَناصب العُليا في البلْاد وذلك عن طريق احْلال المسيحيين السوريين مَحلهم، علما بان هذا الإقصاء ذاته استخدمته بريطانيا ايضا لمواطنيهم المُسلمين مدعية بقلة خبرتهم، فضلا عن عدم الحاجة الى خدماتهم[32].

ازاحت سلطات الاحتلال البريطاني الكثير من المسيحيين الاقباط عن مناصبهم واكتفت بتعيين العدد القليل فقط، بعد ان احلت المسيحيين السوريين محلهم، فعينَ بطرس أغا ارمانيوس حاكماً لِوادي برديس شمال محافظة قنا والجزء الجنوبي من مدينة جرجا، وعينتْ عيد فرح ميخائيل حَاكماً على دير مواس في محافظة اسيوط، وعينت ميخائيل عبده حاكماً على المنطقة المُجاورة لمدينة فشن[33].

٣- انتشار الافكار العلمانية بفصل الدين عن الدولة

بدأت الصرخة الاولى من المسيحيين الاقباط عندما ظهرتْ بوادر انتشار الفكر العلماني لِفصل الدين عن الدولة فأسسَ بعض الشباب عام ١٨٩٠ جمعية التَوفيق الخَيرية القْبطية لإدخال بعضْ الاصلاحات على الخدمة الكنيسة واستخدمت اللغة العَربية هدفها توعية الرأي العام، وسجلَت أول نَشاط سْياسي على ارْض الواقع بعد عام من تأسيْسها عندما قادت تظاهرة جماهيرية قبطية للمطالبة بإصلاح حَالهم والالتفاتْ الى مطاليب الشعب المصري كافة[34].

إن المثقفين المَسيحيون والمسلمون وكلهم عْلمانيون رفعوا أصْواتهم مَع بْداية القْرن العْشرين نحو ترجمة الأفكار التي تدعو لِلوحدة الوطنية على ارض الواقع، سيما بعد ان قامت الدولة العثمانية بالدعوة الى تأسيس الجامعة الاسلامية، فبدأت الدعوات التي تؤكد على ان الوَقت غَير مُناسب للرَابطة الإسلامْية وَكانَت الشْعارات مُناسبة لِظروفها، اذ لَم يكن يعوزها التَبريرات لان العُثمانيين المسلمُون بَالأمس حسب وجهة نظرهمْ لمْ يَستطيعوا وَقف الاستعمار الأوربْي للبلاد العَربية[35]. الامر الذي هيا مناخاً تَاريخياً حَضارياً واجْتماعياً ونفسياً لتبلور مفهوم الوعي القومي للحركة الوطنية وفئة السياسيين المصرين لتقوي من الاواصْر الوطنية اكثر[36].

عموما يمكننا ان نستنتج بان المسيحيون والمسلمون على حد سواء تعرضوا لأسوَء حَالات الظُلم وَالاضطهاد مِن قِبل سلطَات الاحتْلاَل البْريْطاني فَتهيأت أذْهانهم للاتْحاد والتَضامن

معاً في سبيلِ التخَلص من عَدوهم المشْترك، فتهيأت الأرضية الوطنية المناسبة، سيما بَعد الاعْتقاد السَائد للطَرفين بِتلقي الدَعم والحْماية من الدولةِ العثْمانية كَمركز لِلخلافة الإسْلامية بِالنسبة للمُسلمين والاستْعمار البَريطاني كونْه المُنقذ بِالنسبة للمسيحيين، في الوقْت الذي اشتدَ عُود التيار التحرري الذي ولد في رحْمه زُعماء ثَورة ١٩١٩، وكُل هذا انعكسَ بالإيجاب للطَرفين تمهيدا للانْدماج مَع بَعضهم وَوحدة الصف الوطني.

٤- اثارة بريطانيا للفتن والصراعات الداخلية وترويجها لمبدأ حماية الاقليات

ركزت بريطانيا عَلى دعم الأغْلبية(المسلمة)على حِساب الأقلية(المسيحية)الا انها فشلت مع الأغلبية وفي إثارة الفتنة فأرادت اللجوء للأقلية ليظهروا بمظهر المضطهدين ليقوم المحتل بإنْصافهم، الا اننا ما نجده بأن الأقباط كانوا أكثر وطَنية فعمدت سلطات الاحتلال الى إبعاد كُل المَسيحيين من الوظَائف العُليا مثل مُديري المديريات، وَرؤساء المحاكم ومدراء المدارس ومُنتسبي قوى الامن الداخلي والوظائف المالية والقضائية بحجة أن هَذه الوَظائف تَعود لِحاكم البْلاد المُسلم[37].

تمكنت بريطانيا اخيرا ولو لفترة قصيرة من توظيف الاختْلاف في الدين بين مسلمي مصر ومسيحيها وإثَارة الفَوارق الدينية وابراز حَق الأغْلبية في تَولي المَناصب السيَادية لتنفيذ سْياستها بإحداث شْقاق بين المصريين للقضاء على الحركة الوطَنية. وتُعد الصْراعات التي حدثت خلال الَسنوات١٩٠٨- ١٩١١على اثَر اغْتيال بطرس غالي[38]الذي تولى رئاسة الحكومة ١٩٠٨/١١/١٣ لغاية ١٩١٠/٢/٢١ انموذجاً للصْراعات الطَائفية التي أدارتها بريطانيا أدَت بالنهاية إلى الاحتقان الدموي بين الاخوة[39].

عقد المسيحيون الأقباط بعد حادثة الاغتيال مؤتمرا عام ١٩١١ في مدينة اسيوط طالبوا فيه بحقوقهم المدنية على اساسِ مَبدا المساواة للجميع النظر عن الدين في الحُقوق وَالواجبات، رفعوها للحكومة المصرية وإلى الحاكم السياسي البريطاني اللورد كرومر، وَعقد المسلمونَ في الوقتِ نفسه مُؤتمرا بِمدينة الإسكندرية لمُناقشة سبب عقد مؤتمر اسيوط، مما اثار حفيظة الخديوي وانزعاجه من الطرفين اذ عده تجاوزا ومغالاة في ردة الفعلِ للطرفين[40]ووجهت دعوات لحُضور الأعْيان القبط والمثقفين المُسلمين للمؤتمر في مدينة القاهرة في حي هليوبوليس، وقَد استجابوا لذلك، كما انه وتمكنوا في المؤتمر من إنهاء ونزع فتيل الأزمة، اذ تضمنت مطالبَهم ضبط النفس على اثر حادثة الاغتيال حقنا لدماء الابرياء، وإغلاق المَدارس وَدوائر الدَولة أيَام الآحادِ أي جَعل يَوم الأحَد عُطلة رَسمية لِجميع المَسيحيين، تَخصيص مبالغ من الحكومة للِمدارس القبطية، فضلا عن الاهم وهو تعيين الأقباط في المناصب السيادية في الدولة[41].

تَدريس مُقَرَرْ التَربية المَسيحية في المَدارس الأمْيرية لأبنائِهم الدارسين فيها. فضلاً عن تعيين أعضاء مسيحيين في رابْطة المُحاميين المَصريين Bar Association .كلها امور ادت لإنهاء أزْمة الصْراع الدَموي نتيجة لاستجابة الحكْومة المَصرية لِبعضها[42].

لقد ادت الحادثة الى نمو الانقسام بين صفوف المصرين، سيما عندما اشاد بعض المسلمين وتحت رعاية سلطات الاحتلال بالورداني واظهروه بمظهر البَطل القومي. وفيه رفَضت مَطاليب الأقباط لتمييزهم مع تذكيرهم بِأن الدين الرَسمي للبِلاد الا هو الإسلام هُو دْين الأغْلبية، وهنا ظهرت مسالة مهمة لبث الانقسام والفُرقة والتي رعتها سلطات الاحتلال الا وهي مسالة الأقلية والأغْلبية[43]. اذ نوقشت المطاليب القُبطية المَطالِب الَتي رَفضها تَماما المؤتَمر المصري، ولحسن الحظ ان كلا المؤتمرين كان يُمكن أنْ يَكون لَه عَواقب وَخيمة، لولا تدخل الاشخاص الوطنيين من الطرفين[44].

سجل المؤتمرون اروع صور التعايش السلمي اذ اكدوا على الانتماء للوطن وحفاظهم على الوحدة الوطنيةِ، سيما بعدما ارتَفع العَلم المصْري في مَكان الاجتماع وَعزف السَلام الخْديوي، وزالت مخاوف البابا كْيرلس الخَامس من الانقسام والفتنة، اذ نراه يصدر بيانا يذكر فيه قبل انعقاد المُؤتمر "بان كان سيسره ان تجتمع كَلمة ابْنائه على ما فيه الخَير للجميع" ومن جهة اخرى دعا المؤتمر الذي عَقده المسلمون لِنفس المبادئ في محاولة لتهدئة الموقف لتسجل بعدها الفترة ١٩٠٨-١٩١١ قمة في الخلافات بين الطرفين لانهما صدرا من أرضْية فكْرية واحْدة تربطها مصالح تاريخية مشتركة[45]. ليأتي خْطاب القاه الرَئيس الامريكي ثْيودور روزفلت في الجَامعة المَصرية اثناء زيارته لمصر بمحاضرة القَاها عن حَادثة الاغتيال ليثير النَعرات الطَائِفية قائلا:(انَ مْثل هَذه الامَم تَكون خَطرا عَلى نَفسها لأنَها لَم تُنم فيِها الصْفات الَتْي تُمكنها مِن الانْتفاع بِالدستور)[46].

تمكنت مصر من توحيد صْفوفها من جديد، ولكن في المقَابل خَسرت خَسارة كَبيرة إذْ أصْبحت المَسائل السياسية المهِمة في الدَولة تأتْي في المَرتبة الثَانية بَعد الخْلافات الدْينية، اذ انتَهى المُؤتمران الى جملة مقررات لم تطرق لاي احْتجاج على سْياسة المُحتل او المُطالبة بِتعديل او سن دستور للبلاد، وانتهَى الى قَرار مُهم وهْو اسْتحالة قْسمة الحَياة السْياسية فْي مَصر وان الاوطان تدار بالشراكة[47].

وقد عبر عن الرفض لتمثيل الاقليات بعد اثارة هذا الموضوع اثناء صدور تصريح ٢٨ شباط١٩٢٢ من خلال قصائد وهتافات ابرزها:

"لا اقلية و لا اكثرية انها فشت لشر بلية

لا تصيغوا لمن بها قال سمعا واحذروا من دسيسة مطوية
اننا في حقوق مصر سواء دیننا في جهادنا الوطنية
وسواء في كل خير وشر فاذكروا مصر بكرة وعشية"[48] .

المبحث الثاني: المسيحيون في المناصب القيادية العليا

اسهمت العوامل التي ذكرناها آنفا في رغبة المسيحيين بالمشاركة في العملية السياسية، فإلى جانب حنكتهم السياسية، نجد رغبة حكام مصر بمشاركتهم في اتخاذ القرارات كشركاء لهم وبجدية.

أولاً: نوبار باشا الارمني

كان نوبار باشا[49] اول مواطن مصري مسيحي يظهر على الساحة السْياسية المصرية ويتقلد منصبا كبيرا في الدولة، اذ اظهر حنكة سياسية ومهارة في جميع المهام التي كلف بها، وتمَ تَكريمه من قِبل السلطَان عَبد المجيد الاول ١٨٦١-١٨٧٦ اثناء زيارة الاخير لمَصر اثناء حكم الخْديوي اسْماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩م حُكم مصر، اذ ابدى السلطان عن تقديره الشخصي لمصر ورضاه على حاكمها وكرم رجالات السياسة في مصر ومنهم نوبَار بَاشا ليصبح اوَل مواطن مصري مسيحي يتمتعْ ينال هذا اللقب[50]. واثبت مهارة كبيرة منذ ان تم ارساله من قبل الخديوي اسماعيل على راس بعثة الى مدينة استانبول لاستحصال موافقة السلطان العثماني على مشروع حفر قناة السويس للتباحث مع بريطانيا وفرنسا بهذا الخصوص، وتم بجهوده اصدار فرمان سلطاني بالموافقة على انشاء القناة، والتي اعتبرت نصرا واضحا للخديوي، فعادت مسالةْ قَناة السْويس للتباحث دبلوماسياً، الامر الذي اضعف معارضة بريطانيا لا نشائها، واصبحتْ القاهرة مركزا للنشاط الدْبلوماسي، ليقف السلطان الى جانب الخديوي بدلاً من أن يحد من صلاحياته[51].

كان من ضمن الامور التي استخدمها نوبار باشا تمكنه من اقناع الخديوي اسماعيل بتأسيس النظام النظاري الوزاري لان لجنة التحقيق العُليا الاوربية المشكلة لإعادة اموال الدائنين اولهم ريفرز ولسون R.Wilson نائب رئيس اللجنة اكدت في تقريرها لعام ١٨٧٨ ان السبب الرئيسي لتدهور الاوضاع المالية السُلطة المطلقة للخديوي، وفي هذا الوقت عاد نوبار باشا من استانبول كونه التقى مع ممثلي بريطانيا وفرنسا للمشاورات مع حكومتيهما لإقناع الخديوي للقبول بنظام النظارة، وفعلا تمكن نوبار باشا من اقناع الخديوي بالقبول[52] .

ان الذي حدث في عام ١٨٧٨ كان حدثا جديدا من نوعه في التاريخ السياسي لمصر، اذ شهد تأسيس نظام الوزارات المصرية، وصدر مرسوم في ٢٨ آب من العام نفسه بتأسيس

النظام النظاري الذي جاء كرد فعل على التدخل الاجنبي المتزايد في شؤون البِلاد، فتأسس بناء على تقرير لجنة التحقيق الدولية، التي رفعت بتقريرها توصية بتَنازل الخديوي عن جزء من صلاحياته في حكم الدولة اي عن الحكم المطلق، وفعلا تم تأسيسها وكانت تتكون من سبع وزارات يرأسها نوبَارْ باشا[53] .

كانت تلك الوزارة البداية الحقيقية التي دعت السلطات المصرية الحاكمة لاستخدام سياسة وطنية قائمة على عدم التمييز بين المواطنين المصريين، وهذا ما أكده الخديوي اسماعيل في حديثه مع رئيس وْزرائه نوَبار باشا خلال انتْخابات مجلس شورى النُواب قائلاً: "عنْدنا أقبَاط أيْضا بَين المُنتخبين وقَد فَتحنا البَاب للْمسلمين وَالأقبَاط بدُون تَمييز "[54].

وبالرغم من ذلك فان وزارة نُوبار لم تُراع سوى مَصالح الدائنْين واغلبهم من الاجانب في الوقت الذي شهد بروز طبقة المَلاكين الزِراعين، فضلا عن ازدْياد نَشاط الحَركة الوَطنية وكُره القصر لِهذه الوزَارة فتَشكلت معارضة قَوية في مَجلس شُورى النواب الذْي افتتْح في كانون الثاني ١٨٧٩ لغرض اعطاء المَسالة المالية اهتْماما اكثر في مصر، وتمكنت الوزارة من اصْدار قانون جديد تضمن السماح بإصدار قَوانين مَالية بعد مُصادقة الخْديوي ومَجلس الوُزراء عَليها في ١٨ شباط من العَام نفسه، مما ادى الى موجة احتجاجات عارمة في المجلس بسبب تجاوز وزارة نوبار صَلاحيات مجلس شورى النُواب التَشريعيةِ، لتَعقبها مظاهرة اخرى للضُباط المصريين لم تَنتهي الا بعد تَدخل الخديوي شَخصيا وفَضها الذي كان مترقباً الفُرصة في هذه الفترة للإطاحة بوزارة نوبَار باشا، ليأتي عدم رضا بريطانيا ايضا على سياسة الاخير سببا في تقديم استقالته من الوزارة بعد خَمسة ايام من المُظاهرة حِفاظا على الامن العَام للمواطنين[55].

ثانياً: انضمام المسيحيون الى الحزب الوطني

ان الروح الوطنية التي حَملها المصريين جميعا اتضحتْ عنْدما وَقف اعضاء مجلسْ النواب مَجلس الشْورى وقَفة رجلْ واحْد عَام ١٨٧٩ مَع الخْديوي اسْماعيل فيْ محْنته المَالية رَافضيِن مبْدا تَسوية مَشاكل مْصر ومساومتها من قبل البيوتات الاجنبية بإشهَار إفلاسها وهَو مَوقف وَطني يحسب للجميع وَلا غُبار عَليه[56].

لكن بريطانيا سرعان ما قامت بتعطيل العمل بالدستور بعد الثورة العرابية عام ١٨٨٢ والغت العمل بالنظام البرلماني لأنه يجب ان يقوم النظام على امرين مهمين هما الاستقلال وحكم البلاد حكما دستورياً وهذا الامر لا يتوافق مع المصالح البريطانية[57].

عندما تأسَس الحزب الوطني والذي عُد اول سياسي عام١٨٧٩[58] جاء في ديباجته بانَه حزب"سياسي لا ديني" يراسه احمد عُرابي، عندها حَاول الخْديوي توفْيق تحْت ضغْط سُلطات الاحتلال، ايقَاف العَمل بِالدستور ليفتح الباب امام الشخصيات الوطنية للانضمام اكثر اليه، فنجد انضمام شخصيات مصرية اليهم بغض النظر عن دينهم من مُختلف الاديان وَالطوائف اليه، منهم الأقباط وَاليهود[59] .

ليأتي موقف بطرس غالي كشخصية مسيحية اخرى لها الدور القيادي ويقف بوجه الاطماع الفرنسية والبريطانيةِ كونه وَكيلا لرئيس الحكومة ريَاض بَاشا في لْجنَة التَصفية للدَفاع عَن مَصالح الحُكومة المصرْية اثْناء الازمة المالية، والتي جاءتْ دليلا على مواقفه الوطنية وَحرصْه عَلى البِلاد، اذ ذاق الجميع ذرعا من تَدخل كل من فرنسا وبْريطانيا في شؤون البلاد، بحجة دفاعهما عن مصالح الدائنين الاوربيين، ليليها اقصائهما للخدْيوي عن الحكم بعد تمكنهما من اثارة المصريين ضده، اذ كان غَالي من رجَل من طائْفة دينية عدت بأقلية فيْ وقْت تَغلبت فْيه النَعرات الدينْية وكان رجلاً نَشيطا فْي مَجال السْلم المجتمعي ونظام الوَساطة[60]

قَدمت الحركة الوطنية برئاسة الحزب الوطني الى الخْديوي اللائْحة الوَطنية تضمنت جملة امور منها، تعْديل النْظام البَرلماني لمجلس الشوُرى النواب وتخويلهِ الصلاحياتْ والسُلطات المتبعة في الدُول الأوربية، لا بل تَضمنت اللائحة نفسها عَزل ابِنه تَوفيق منْ رئِاسة الحَكومة، وهي كانت خْطوة فريدة من نوعها وعُدت انتقالية في السَاحة الْسياسية المصْرية، وكانت اللائحة موقعة من قبل العَديد منْ الوَطنيين المصْريين مْن أعْضاء مجَلس النُواب وتجار البَلد والأعْيان ورجَال الدْين امثال الشَيخ عَلي البَكري نَقيب الأشْراف وحَاخام اليَهود وبْطريرك الأقبَاطِ، وقد الفوا وفْدا وحَملوها الى قَصرِ عَابْدين الذي هو مقر اقامة الخْديوى، لتأتيهم الاستجابة لمطالبهم نزولا عند رغبتهم فاصدَر مرسوما بِإعفاء ابْنه منْ رِئاسة الحكْومة[61].

وبناء على ما تم ذكره فقد تم مشاورة بَابا الأقباط بحضور كبار رجَال الدولة وكِبار رجال الدْين وكبار وَالتجار والأعْيان في المؤتمر الوطني الذي عقد في السَابع عَشر من تموز ١٨٨٢ اثناء هروب وتَواجد الخديوي في الاسكندرية لغرض تَشكيل لْجنة لمَعرفة موقفه من بريطانيا، وخرج بمقررات منها التجهيز الحربي لعُرابي باشَا، فضلا عن التنْديد بمَوقف الخديوي لابل قرروا عزله في التاسع عشر من تموز وتكليف عرابي بالدفاع عن البلد، اذ جاءت هذه التوصيات بناء على مقترحات البَابا[62].فانبثقتْ من رحم تدهور الاحوال الحركة وطنية وبمساندة العسكريين للوقوف بوَجه الاتراك والجراكسة معا، لتندلع ثورة وطنية يقودها عرابي باشا[63]. ليشارك بها الاقباط جنبا الى جنب مع اخوتهم المسلمين لتحسين حالهم بحركة وصف بالوطنية

الخالصة[64]. فقدموا الدعْم المالي للثورة فَانهالت التبرعات من المسيحيين لاسيما اقباط محافظة الصعيد لانهم كانوا يرغبونَ بالتخلص من سلطة الخديوي الحاكمة[65].

طلبَ بطرس غالي من احمد عرابي كونه وزيراً للعدلِ التَريث والصفح عندما اضطربت الامور بين العُرابيين والخديوي توفيق لكي لا يستغل اعدَاء البْلاد هذِه الفُرصة ذريعة للتفرقة بَين أبناء الوَطن الوَاحد فاخذوا بنصيحته واوكلوه بحمل طلب العفو الى الخديوي نفسه، وبذل جهدَا كبْيرا في سَبيل إنْشاء المجْلس المِلي فقَد عَرف كَيف يجْعل الحْكومة ان تبتعد عن الرئاسة الدينية واستغلال ما تملكه من أمْوال للتَصرف فْيها لِخدمة الشعب وبخطوته هذه اثبت انه لم يكن مسيحيا بل انه مصريا سعى جاهدا لِتعويد الشَعب على مُحاسبة مرؤسيهِ مَهما كانت سُلطاتهم ومصدره، وفي حالة عدم وصول الاقباط الى المجالس النيابية يتم اشراكهم في العملية السياسية عن طريق التعيين[66].

يذكر الخْدِيوي عباس حلمي الثاني[67] كونه شاهد عيان عمل مع غالي بان الاخير هو الرئْيس الوَحيد لمَجلس النُظار الذي عمِل بِدون تَوقف وبإخلاصٍ في كُل الوَقت الذْي كَان نَاظرا فْيه وَمن اجْل خْدمة بِلاده، واطلق عليه لقب امْير البْلاد، وكانسان معرض للخطأ كان خطاه الوحيد محكمة دنشواي...وكان تَفكيره المُبتكر والخَلاق والمبدع في شؤون الدَولة يُعادل امَانته الكَبيرة[68]، لا بل عدهُ من اكْبر رِجال السيَاسة فيْ مصْر والشرق الاوسط بأكمله واقْدر رِجال زمَانه' وهذا ايضا اكده شَيخ الأزهَر آنذاك إذ ذكر بانه قَليل مْن المْسلمين عَملوا الخَير لِبلدهم ومنهم هذا المَسيحي أيضا[69].

ولا يفوتونا ان نذكر بان سلطات الاحتلال البريطاني حرصت على استمالة بعض المسيحيين الى جانبها، ففي الوقت الذي عانى منه المسيحيون الوطنيون من سوء المعاملة كان المسيحيون الاجانب يعيشون في ظل نظام الامتيازات[70] ، فمثلاً عمل بعضهم الى جانب عملهم بالتجارة كقناصل أو وكلاء للدول الاوربية او الولايات المتحدة الامريكية منهم ويصا بقطر عمل قنْصلا للولايات المُتحدة الامريكية وهُولندا في اسيوط، وعمل حنا ميخا قنصلا لروسيا، فضلاً عن اندراوس بشارة الذي عَمل قنصلا لبلجيكا وايطاليا في مدينة الاقصر، مما ادى الى زيادة ملكياتهم العقارية فمثلاً بلغت ملكية احد المواطنين الاقباط ويدعى ويصا بقطر للأراضي الزراعية في العام ١٨٩٨ حوالي ١٢،٠٠٠ فدان، لتصل إلى ٢٨،٠٠٠ فدان بعد شرائه بعض اطيَان الدائرة السُنية وغيرهم[71].

ثالثاً: أثر حادثة اغتيال بطرس غالي على تماسك المجتمع المصري

كان يتم اختيار الوزراء من غير المسلمين في الاطارْ العثماني لا المصري القائم على الوحدة الوطنية التي بدأت مع ثورة عرابي باشا، وان اختيار المسيحيين كان يتم وفق العلاقات القائمة بين الطرفين وليس وفق الانتماء الطائفي، وعندما استقال نوبار باشا عام ١٨٩٥ ظل العنصر التركي هو المسيطر على الوزارات، فبطرس غالي كان والده من كبَار موظفي الدائرة الخاصَة للخديوي عندما اختير لرئاسة الوزارَة المصرية عام ١٩٠٨ الامر الذي ادى الى اختلاطهم بالعنصر التركي ونشا بطرس غالي وسط هذه الطبقة، مما انعش امال المسيحيين للمطالبة بالمساواة على ارض الواقع، وكان اغتياله قد اثار حنق الاقباط، لانهم اعتبروهُ ممثلهم، وبعد وفاته تم تأليف وزارة محمد سَعيد بَاشَا الذي اختار يوسف سابا ممثلا عن المسيحيين في مصر[72].

لم يقف المسيحيون الى جانب مصطفى كامل ١٨٧٤-١٩٠٨ الذي اندفع في تأييد السلطان عبد الحميد الثاني١٨٧٠-١٩٠٨ في اعماله الاسْتبدادية فَوصم الوطنَيون العثمانيين المطالبين بالعَودة الى العمل بِالدستور كما انه طالب بالخلافة العثمانية[73]. على الرغم من كونه رجلا وطنيا يطالب بخروج المحتل من مصر، وذلك بسبب ايمانه بالجامعة الإسلامية دينيا وسياسيا وولائهِ للسلطان عبد الحميد الثاني ولم يؤمنوا به وهم يرون رجال الحركة الوطنية في إستانبول يغادرون لأوربا هربا من الطاغية العثمانية بينما كان يُسافر سَنويا اليها ليَلقى كل احْترام وترحيب الى ان منِح لقْب الباشا، ولم يتقبلوا فكرة ان يضع الفارسي والافغاني والتونْسي الى جانب المَصري المُسلم على قَدم المساواة ثم تضَع القبطي المصْري في مَرتبة اقل منْهم فالقومْية المصرية كما فهمها الاقباط هِي ان خَيرات مصر حَلال للمصريين وانْ اختَلف دينهم وحَرام على غيرهم[74].

نجد محاولات الحْزب الوَطني ان يستقطب بين صُفوفه عددا منْ الأقباط في عَهد كَامل لم تنجح، إلا انه بعْد رحْيل مصطفى كامل بدأوا يبتعدون عنه ويقتربون اكثر من اتجْاهات وفكر حْزب الأمُة الذْي كَان يَعمل في أنَاة لبْناء الوَطنية المَصرية والقَومية المَصرية ووَجد فْي صْفوفه عَددا منهم فراوا فيه ما يعارض الاتجاه الديني فانضم اليه اربعة عشر مسيحياً واختير احدهم عضواً اللجنة الادارية، اذ تضمن بَرنامجه الحزب مشاركة الحُكومة في سّن القَوانين واللوائح ووضع المشروعات العَامة والسعي نحو اجراء الاصلاحات بتوسيع صَلاحيات مجالْس المُديريات ومَجلس شُورى القَوانين والجمعية العُمومية والنهوض بالواقْع التعليمي[75].

نجحت سِياسة فَرق تَسد التي خططَ لها اللورد كرومر طُيلة فَترة تَوليه حُكم مصر لِشق الصَف الوَطني بين المُسلمين وَالأقباط في بَادئ الأمر، إلا أنه سُرعان ما تَم تدَارك الأمُور مِن قِبل الطَرفين، فَجاء حادث اغتياله لأنه كان رئيساً للمحكمة في حادثة دنشواي التي وقعت احداثها العام ١٩٠٦ وحكمه بالإعدام على ضَحايا الاعْتداء البريطاني، وَ توقعيه اتفَاقية مد قناة السْويس لمدة أربعُون سنة مُقابل أربَعة مَلايين جُنيه منذ ان كان وَزيراً للخارجية على الرغم من المعارضة الشديدة للحركة الوطنية، واتفَاقية السودان ١٨٩٩، وَاعَادة العَمل بِقانون المَطبوعات في عامِ ١٩٠٦ والذي يمنح الصلاحيات لوَزير الدَاخلية حَق انْذار الصُحف او تعْطيلها من دون ايةِ محاكمة[76]. وهذا ما أكده الودراني نفسه في اسباب الاغتيال بسبب رئاسته لمَحكمة دْنشواي عام ١٩٠٦ باعْتباره وَزيرا للحقانية، فضلاً عن توقيعه لِمشروع مَد امْتياز قَناة السويس[77] كما اكده اللورد جورست E. Gorst 1907-1911 (اصبح حاكما في مصر بعد رحيل كرومر) في تقرير لعام ١٩١٠ بأن الاغتيال سببه سياسي بحت[78].

كان بطرس غالي ثاني شخصية مسيحية من طائفة الاقباط الارثوذكس يتولى رئاسة الحكومة المصرية لأنه ايد بريطانيا والخديوي لعدة دوافع منها الحملة الاعلامية التي ادارتها صحف اللواء والدستور ضد المسيحيين، بنشرها بان الحَكومة المصرْية والغَالبية العظْمى من الشَعب المَصري لا يؤيدْون أفكار الحْزب الوَطني[79].

وعندما حَاول اليهود إنشاء وطَن قَومي لَهم فْي مصر وبعد وصُول البعثة المرسلة من قبل اليهود عام ١٩٠٣، لدراسة المَنطقة كَان ليأتْي رد بطرس غالي وزير الخارجية بانه وفقا للقرارات الشاهَانية لأيِ سَبب او مُبرر التَنازل عن جُزء أو كُل الحُقوق المُتعلقة بالسْيادة المصْرية ولذا يرفض رفضاً قاطعاً لكل فكرة تدعو للترويج لمثل هكذا افكر واخذ برايه اللورد كرومر واكد بان الحكُومة المصْرية غَير مُستعدة للأخْذ بهَذا الاقْتراح لذلك يجب صرف النَظر عن الموضوع[80].

وفضلاً عن كل ما سبق ذكره فانه يعد اول رئيس حكومة يقرر علانية جلسات مجلس الشورى واكد بانه لا داعي لان تكون سرية، وجعل اعمال الوزارة وسلطتها تنفيذية مسؤولة المجلس، وفعل من صلاحيات السلطة الدستورية، وعدل قانون مجالس البلديات ليزيد من عدد أعضائها عضوين آخرين وخولها سلطة فرض الضرائب الإضافية على الأراضي ليتم إنفاقها على المصلحة العامة لاسيما التعليم، ولم يتردد من أن يتدخل بنفسه لإجراء الإصلاحات في المحاكم الشرعية ويعطي الصلاحية لحاكم البلاد لتعيين قاضي القضاة، بالرغم من اعتراض مشايخ الأزهر

الذين اكدوا بان السلطان العثماني لح الحق في ذلك فقط، ولا يحق للحكومة المصرية احداث اي تغيير في هيئتها الشرعية لان ذلك خارج صلاحياتها وليس من اختصاصها[81].

وعندما ازدادت الخلافات بين الحُكومة المصرية وبعضْ شيوخ الأزهر رفض غلق الجامع الازهر بسببها، لا بل بادر غالي لحل الخلاف بينهما بصفته الرسمية رئيساً للحكومة ليخالف اوامر الخديوي الصريحة قائلا له: (لا يُمكن في عَهدي أبَدا أن يُمس الأزْهريون بِسوء)[82]. كما انه اول من اقر عطلة راس السنة الهجرية ونقلت جَريدة الوقائع المصرية في كَانون الثاني ١٩٠٩ (بمناسبة السَنة الهْجرية الجَديدة ستُقفل نَظارت الحكُومة ومَصالحها يَوم السَبت أوْل محَرم سَنة ١٣٢٧ – ٢٣ يَناير ١٩٠٩) وهكذا اقرت العطلة في أهَم مُناسبة إسلْامية[83].

دعا غَالي بسلسة اتصالاته ببحثْ مَسالة جَلاء القوات البريطانْية عن البِلاد، إذ كان ناشطا في مجَال ارساء السلم المجتمعي والوَساطة الدولية[84]. ليعقبها عقد مُؤتمرا قبطياً ركز على رفع مطالب الدولة المَدنية القائمة على ارْساء اسس المواطنة، واخذت المسالة تُناقش على اسَاس مدني وليَس على اساس دْيني بحت[85].

صرح مصطفى كامل للجميع بان الوَقت غَير مناسب للمُشادات العَدائية بين الطرفين التي تخدم المَحتل بأن المُسلمْين والأقْبَاط شَعب واحد تربطهما الروحِ الوطنية... وهم إخوة لنا في الوطن[86].

بالرغم من ذلك بدا المسيحيون يبتعدون عن خطا الحزب من أعيان وتُجار محافظة أسيوط مثل سينوت حنا والذي كان رفيق وصديق مقرب من مصطفى كامل، لاسيما بعد وفاة الاخير بسبب ضْعف القَيادة الجديدة المُتمثلة بمْحمد فريد وساءت العلاقة بينهم وبين خَلفه محمد فَريد الذي اسْتقبل وزارة بطْرس غالي بِفتور، وَلم يُعبر بِكلمة أسف واحدة على حد وصفهم على حادث الاغتيال ولما بدأوا بالانسْحاب من الحزب تراجع فريد عن موقفه، وصرح بأن القَاتل لم يَكن مَدفوعا بِدوافع دْينية بل بِدوافع وطنية[87].

المبحث الثالث: المسيحيون ودورهم في السياسة المصرية عهد التعددية الحزبية

رغم النعرة الطَائفية التي عصَفت بالبلاد ابان الفَترة ١٩٠٨-١٩١١ وانعقاد المؤتمرين الاسلامي والقبطي، نجد كلاهما بالنهاية يرفضان رفضا قاطعاً في مقرراتهما مبدا التمْثيل الطائفي في المَجالس النيابيَة[88].

أولاً: المسيحيون ودورِهم في السيَاسة المَصرية بداية القرن العشرين

بعد تجاوز الازَمة الطائفية التي عصفت بالبلاد كَانت ظُروف التَوجه نَحو الوحْدة الوَطنية اقْوى بكَثير من ظُروف التَفرقة وَالتي بَدأت بِنهب المُستعمر لخَيرات البْلاد والتأثير عَلى اقْتصادهَا والتْي طَالت المسْلمين وَالمسيحيون الى جَانب ظرُوف انْدلاع الحَرب العَالمية الاوْلى ومَا تعرضت لَه جميع فئات المجتمع المصري من الفَلاحين والتُجار والمُوظفين والعسكر، فضْلا عن نُمو الطبقة البْرجوازية المَصرية التْي اقْتنعت بِأهمية دعم الصناعَة الوَطنية وتنميتها وتَطويرها[89].

انضم مسيحيو مصر الى الأحزاب التي بَدأت بالتأسْيس منذ مَطلع القرن العشرين، واتسع بذلك نطاق مشاركتهم في الحياة السياسية المصرية فساهم اثنين منهم في تأسيس حزْب الإصلاح عَلى المبَادئ الدْستورية الْذي تَزعمه الشَيخ عَلي يوسف، كما انْضم مرقس حنَا و وبِصا واصْف الى الحْزب الوطني، كما ضم حزب الأمة الذي تأسس في عام ١٩٠٧ بين صفوفه ستة عشر من المَسيحيين من مجموع أعضائها البالَغ ١١٣ عضوا، فضلا عن تأسيسهم العديد من الاحزاب منها الحزب المصري الذي أسسه اخْنوخ فَانوس ولكن الحزب لم يشهد إقبالا عليه من قبلهم كونه كان قائما على أساس طائفي وَالتعاون مع المُحتل ووجدوا بانهم وصلوا الى مرحلة مهمة من مراحل مصيرهم الذي هو جزء لا يتَجزأ من مَصير المصريين كافة[90].

ومنذ عام ١٩١٠ اصبح مجلس الشورى والجمعية العمومية تحت سيطرة الحزب الوطني تقريبا للتحريض ضد الاحتلال البريطاني، وازدادت مطالبهما لحكومة دستورية وانهاء الاحتلال[91].

بعد عَام١٩١١ اخذت الحركة الوطنية مجتمعة تبدا العمل جاهدة للحصول على الاستقلال والوحدة[92] والمساواة بين المواطنين المصريين كافة على أساس المواطنة وَبعيدا عن الدْين او المذهب[93]، في الوقت الذي بدأت فيه الافكار تدعو الى المساواة ليكون قادتها المفكرون المسيحيون مع المُسلمون متمسكين وبشدة بِشعار مصر للمَصريين.

تم العمل بمبدأ التمْثيل الطائفي في المَجالس النيابيَة عندما انشئت الجَمعية التشريعية بموجب القانون ٢٩ لِسنة ١٩١٣، والذي عُد جهازا استشاريا للتشريع يحل محل الجَمعية العُمومية

ومجلس شورى القَوانين، لتكون بذلك اول مؤسسة نيابية من مؤسسات الدولة في تاريخ مصْر الحديْث تُقر رسميا هذا المبدأ والذي اقر أُسسه اللورد كيتْشنر، فتم اصدار دستور جديد للبلاد، ومنحت البلديات المحلية بعض الصلاحيات[94] .

تضمن قانون الجمعية التشريعيةِ في مادته الثانية على ان تتألف الجمعية من اعضاء قانونيين هُم النُظار وأعضاء منتخبون يبلغ عددهم ٦٦ عضواً، فضلا عن تعيين ١٧ اخرين يتألف منهم رئيس الجمعية ووكلائه، ونصت المادة الثالثة على ان يكون الاعضاء المعينون ١٥ منهم اربعة مسيحيون اقباط، وقانون الجمعية لم يعرض على الامة لإبداء رأيها، وليس له صفة استشارية[95] .

وفي بداية عام ١٩١٤ تأسست الجمعية التشريعية كَانت تتكونْ من ستة وستون عضوا مُنتخبا وسبعة عشر عْضوا مُعينا[96]، اذ قامت الجمعية على دْستور عام ١٩١٣ وكان سعد زغلول عْضوا مُنتخبا فيها وَسينوت حنا عْضوا مُعينا معَ قليْني فَهمي وَكامل صْدقي ومَرقس سمْيكة وعنْدما نشبَ خْلاف بَين سَعد وَبين عدْلي انحاز سينوت حَنا الى جانبِ سعد[97].

اما ابرز المسيحيون الذين ظهروا على الساحة السياسية نجد تسنم يوسف وهبة منصب وزير المالية في وْزارة حْسين رُشدي باشا[98] التيْ تَشكلت في الخامس عشر من نيسان ١٩١٤، واستمر في منصبه وَزيرا للمَالية في وَزارة حسيْن رشْدي باشَا الثانية الَتي تشكلت في التاسع من كانون الاول ١٩١٤بعد ان تولى حسين كَامل سلطنة مصر، وايضا اصبح في المنصب نفسه على عهد وزارة حُسين رُشدي بَاشا الثَالثة في عَهد المَلك فُؤاد[99].

عموما توَقفت الحياة السْياسية خلال الحَرب العَالمية الأولى١٩١٤-١٩١٨ بِسبب إعْلان الإحْكام العَرفية، وحَل المجْلس التَشريعي، فضلا عن انصراف الناس للاهتمام بأمورهم الخاصة اكثر من اهتمامهم بِالسياسة وشؤونها[100]. فضلا عن فَرض التَجنيد الاجْباري للَمصريين وتَم تَجنيد العَديد مِن المصَريين للعمليات الحربية في سُوريا وفَلسطين وَالسُودان[101]. وَسخرت مَوارد مصْر لِصالح المجهود البْريطاني سيما عندما بدأت الدْعاية عَن حَق تَقرير المَصير وَحقوق الشعوب بالتحرير، وعند نهاية الحرب أعلنَ سَعد زَغلول تَشكيل الوَفد المَصري[102].

صدر مرسوما في كانون الاول ١٩١٤ تضمن تأجيل دورة انعقاد الجمعية التشريعية الى شباط ١٩١٥، ليليه تأجيل آخر لغاية نيسان ثم مرسوم بتأجيل الانعقاد لغاية تشرين الثني ١٩١٥، لتتأجل إلى أجل غير مسمى بموجب المرسوم الذي صدر في ٢٧ تشرين الاول ١٩١٥، وبذلك حرمت البلاد من اية هيئة نيابية استمرت لغاية اعلان الدستور عام١٩٢٣[103].

وفي هذه الفترة عينت بريطانيا الملك احمد فؤاد[104] سلطانا على مصر في عام ١٩١٧، لتاتي تصريحاته كالصاعقة على المصريين اذ صرح بان المصريين لا يناسبهم الحكم البرلماني[105].

ثانياً: دور المسْيحيون السياسي للفترة ١٩١٨– ١٩٢٢

تم اختيار الزُعماء المُفكرين من المسيحيين ليصْبحوا جُزءا مْن طَلائع حْزب الوَفد الذيْ كافَح للْحصول على الاسْتقلال وطَرد المُحتل، لتصبح الوحدة الوَطنية ابرز سمة هذه الفترة وَجزء مُقدسا لا يَستطيع احَد العَبث بهْ واصبحَ الجميع مقتنعون بِفكرة الدينْ للهْ وَالوطَن للجَميع[106].

طلب واصْف بطرس غالي ترشيح نفسه مع الوفد المصري المسافر الى باريس وقد رَحب سَعد بانضمامه اليه كما استَقر الراي المسيحي على تَرشيحه ليَكون مُمثلا عن الاقْباط في الوفْد، لينضم الى الاخير في عام ١٩١٨ كل من سِينوت حنَا عْضو الجمعيْة التشْريعية وجُورج الخَياط احد كبار اعيَان اسيوط الذي وجه سؤالا لِزغلول عن مصير ومطالب المسيحيين، اذ طمأنه ردا عليه بانه سيكون للمسيحيين ما للمُسْلمين من الحُقوق وَالواجبات، اذ تم الاتفاق على ترشيح واصف غالي الذي كان متواجدا في باريس ليمثلهم في الوفد في برقية ارسلها له ويصا واصف تمكنت سلطات الاحتلال من اعاقتها وعدم ايصالها[107].

شكل المسيحيون وفدا رسمياً لمُقابلة الوفد المصري بقيادة سعد وذلك اثناء تواجد الاخير في نَادي رَمسيس القُبطي في كانون الاول ١٩١٨، اثناء عمله لِجمع التَوكيلات وتوجهات الوفد الليبرالية وقد تكون الوفد من فخْري عبد النُور من اعيان جرجا وويصا واصْف احد اعضاء الحزب الوطني وتَوفيق انْدراوس من اعيان الاقصر اذ رد الاخير على سعد قائلا له بانَ الوَطنية لَيست حْكرا عَلى المُسلمين، الامر الذي سُر بِسماعه سعد لابل رحَب بِانْضمامهم الىَ الوَفد[108] .

كَتب صرح سينُوت حنا بان (الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا) مما ادى الى اعتقاله من قبَل سلطات الاحتلال البريطاني لا بل فَرض الاقَامة الجَبرية عَليه، ليتْم اعتقاله للمرة الثانية مع أعضَاء الوَفد ايضا المعتقلين اثناء اندلاع ثورة عام١٩١٩[109].

لم يقتصر هذا الامر داخل البْلاد فقط، بل ارتفعت الاصوات القبطية في الخارج للدفاع عن القضية المصرية فكتب قرياقوس ميخائيل المراسل الصحفي لصحيفة الوطن الصادرة في مدينة الاسكندرية من خلال مكتبه للدعاية والاعْلان للدفاع عن حقوق ومطالب الاقباط، وقام بعمل دعاية واسعة لنْصرة الوفدْ وكشف المساوئ التي ترتكبها بريطانيا بِحق المصريين، معتمدا على علاقاته بالمواطنين الانكليز، فضلاً عن اصداره النَشرة المصرية للدفاع عن القضية الوطنية، مما أدى إلى اعتقاله من قبل السلطات البريطانية وتم ترحيله الى مصر عام ١٩١٩، اذ

استقبلته الجماهير المَصريةِ بحفاوةٍ بالغة، كما قدمته السلطات العَسكرية للمحاكمةِ في قضيةِ عبد الرحمن فَهمي سكرتير اللجنة المركزية لحزب الوَفد، ووضع تادرس شنودة المنقبادي صحيفة مصر التي كان يصدرها في خدمة الثورة لتصبح منبرا من منابر الحركة الوطنية، واصبح توفيق حبيب محررا في صحيفة الاخبار التي كان يصدرها امين الرافعي، واصبح سينوت حنا نجما من نجوم الوفد والمُدافع عل الصَليب والهِلال، فكتب في صحيفتي مصر والافكار واصبح جورج الخياط عضوا بالوفد ايضا[110] .

واسوة بأقرانهم المسلمين سافر كل من جورج خياط وسينوت حنا مع اعضاء الوفد الى باريس في نيسان ١٩١٩ وانضم اليهم من هناك ويصَا واصف باعتباره مستشارا للوفد، وكان هؤلاء ايضا من ضمن الاشخاص المقربين لسعد وممن يثق بهم، لينشق عن الوفد في عام ١٩٢١ خياط عن الوفد الى جانب مصطفى النحاس واخرون واسسوا حزب الاحرار الدستوريين، كما تم استخدام واعتقال كل من مكرم عبيد وسلامة ميخائيل ونجيب اسكندر واخرون بسبب الاوامر الصادرة من رئيس الوزراء عَدلي يكن وصادق حنين ايضا وحُولوا الى المجلس التأديبي[111].

وهنا نجد استمرار وصول الاقباط ومشاركتهم في السياسة فاستلم يوسف وهبه رئاسة الحكومة المصرية[112]. وأصبح واضحاً بان عهد النظارات الادارية قد انتهى في العام ١٩٢١ بتولي عدلي يكن لتكون بذلك اول وزارة سياسية، واطر الخديوي على قبولها ليتم اختيار الوفد للمفاوضات مع بريطانيا وهذه الوزارة تكونت من وزراء بينهم مسيحي واحد وهو نجيب بطرس غالي وزيرا للزراعة[113] .

وضع سعد نصب عينه في حال استلامه الوزارة ان يراعي الكفاءات لا على اساس تمثيل الاقليات فعندما سأله الملك فؤاد بان العرف اعتاد على تعيين قبطي واحد اشارة الى النسبة العددية جاء رده كالصاعقة اذ اجابه "هذه وزارة ثورة وليست وزارة تقاليد، وانه عندما نفت سلطات الاحتلال زعماء الثورة لجزيرة سيشل كانوا ستة من بينهم اثنين اقباط، وعندما حوكم قادة الثورة كان منهم اربَعة اقباط واثنين من المسلمين، وعندما اطلق البريطانيون الرصاص على المظاهرات لتفريقهم لم يراعو النسبة العددية بين الطرفين"[114].

ثالثاً: المسيحيون في السياسة البريطانية بعد صدور تصريح عام ١٩٢٢

اتضح لنا بان سياسة بريطانية كانت العمل من خلال الحكومة المصرية لتهميش واقصاء المسيحيين، عن الوظائف تدريجيا، لتثير بذلك الاحساس بالفوارق الدينية واثارة موضوع حق الاغلبية في تولي المناصب السيادية في البلاد، مع التأكيد بان سياستها تلك ستلتصق

بالحكومة المسلمة المحلية، وبهذا تتخلص بريطانيا منهم لاسيما الاقباط لانهم رفضوا صداقتها، فضلا عن اعتمادها على المسيحيين الاخرين من اهل الشام، وبمرور الزمن ستظهر للوجود مشكلة اضطهاد الاقباط او استبعادهم، وتتبادل ردود الفعل العشوائية وغيْر العشوائية ليَنمو الاحساس الذاتي لدى الطرفين مع العَمل لجذب بعض العناصر القبطية ثم يتم اثارتها لتتدخل وتظهر بمظهر الحامي لهم وتحلها لصالح الاقباط، ليفهموا انهم يجب عليهم ان يعتَمدوا على قُدراتهم الذاتية بمساعدتها هي.

ان الظروف الدولية بعد الحَرب العالمية الاولى كونت ارضية خصبة مواتية لبريطانيا فوضعت الاخيرة نصب عينها مبدا حماية الاقليات في كل صك او معاهدة دولية تعقد بينها وبين غيرها ومن ضمنها مصر منذ ان انشات لها مصالح فيها[115] ، فضلا عن تقبل الراي العام العالمي لتنفيذ هذا المبدأ، مادامت قد كفلته المعاهدات الدولية بنصوصها واصبح عرفا شائعا، سيما وانه يصب في مصلحتها لتؤكد وجودها في صنع اتباعا جدد لذلك تضمن مشروع وزير الخارجية البريطانية كيرزن George Nathaniel Curzon 1919-1925 في عام ١٩٢١ بنودا تتضمن حقوق الاقليات في مصر، كما تضمنت مفاوضات عدلي- كيرزنْ هذه الحقوق ايضا [116] .

ان اهم ما يمكن ان نلاحظه هو انخراط المسيحيون وانضمامهم الى صفوف حزب الوفد ورغبتهم، اغلق الطريق امام بريطانيا لإثارة مسالة الاقليات وابراز الهوية الاثنية على حساب الهوية الوطنية الجامعة، لان الحزب دعا في شعاراته الوطنية الى المساواة والعدالة والحرية والاخاء وهذا حال قيادي الدولة الذين يسعون الى تطوير بلادهم ومؤسساتها[117].

اعلن اللنبي Edmund Henry Allenby [118] عند عوته الى مصر بتصريحه الشهير ٢٨ فبراير ١٩٢٢ بالاعتراف بمصر دولة ذات سيادة ومستقلة، مع الاحتفاظ بامور معينة منها حماية الاقليات[119] .لان السياسة البريطانية التقليدية التي اتضحت لنا جليا انها تلجا دائما الى الاعتماد على الاقليات وهذا وبحسب وجهة نظرها سياسة تكون انجح ما تكون في البلاد التي تشب بها الخلافات الطائفية بين الاغلبية والاقلية.

لقد اصر الاقباط على اثبات حضورهم السياسي ولم ينعزلوا، فعندما نفي زغلول عام ١٩٢١ رفعوا خمسة من اعضاء الوفد احتجاجا الى سلطات الاحتلال البريطاني هم اربعة مسيحيون وواحد مسلم ووقعت المذكرة باسم سينوت حنا-مكرم عبيد- واصف غالي- وويصا واصف- ومصطفى النحاس[120] . وبعد صدور تصريح شباط كان مكرم عبيد اول مسيحي يؤكد على ان ثوابت العمل السياسي لا تكتمل مالم يصاحبها وحدة وطنية، فمنذ عام ١٩١٩ كان من

الاوائل الذين انضموا الى ثورة ١٩١٩، واطلق عليه زغلول المجاهد الكبير كما نفي معه[121] ، اذ اكد سعد بان الجميع يتمتعون بحقوق واحدة بموجب الدستور وعليهم واجبات واحدة ايضا، وان الجميع في نظر القانون متساوون وان الرقي والتقدم ينالـه اقدر الرجال الذي يستحقونها بجدارة[122].

بعد اصدار التصريح عادت مسالة تمثيل الاقليات لتبرز على الساحة السياسية من جديد، وهذا عائد الى ما تضمنه من تحفظ فيما يتعلق بمسالة الاقليات ليخرج الى الراي العام المصري، كما طرحه رئيس لجنة الدستور حسين رشدي ونبه بعناية "بوضع بنود بالدستور لحمايتهم لان بريطانيا وضعت نصب عينها حق حمَايتهم، وبقي للقضاء والامور الملية النظام الديني والطَائفي واختصاصاتها التابعة ، كما اثار توفيق دوس مسالة وضع نظام التمثيل النيابي ويضمن للأقليات تمثيلها السياسي لتبدا معركة سياسية للمؤيدين والمعارضين في اللجنتين العامة والفرعية، بعدها اثيرت المسالة في الصحافة والتي اقرتها لجنة الدستور أخيراً بإجماع الاغلبية بعدم تمثيل الاقلياتْ، واقر بانه لم يعد هناك تحفظ من قبل بريطانيا وفرنسا لحماية الاقليات[123] .

الخلاصة والاستنتاجات

توصلنا في دراستنا الى جملة من النتائج والاستنتاجات منها:

- اتجه تفكير وعمل المسلمون والمسيحيون نحو تعزيز مفهوم المواطنة والذي اخذ يتبلور بصورة اساسية حول مفهوم الشعب الواحد بأديانه المتعددة، وبمباركة شيوخ الازهر الشريف أنفسهم وعلى امتداد القرن التاسع عشر.
- ان المشاركة السياسية لأبناء البلد والمواطنة وتولي المناصب على اساس الكفاءة وما تبعها تبناها الوفد بصورة جدية حقيقية نابعة من رغبة صادقة من الاطراف جميعا كون مصيرهم واحد.
- تم القضاء نهائيا على المشاريع الاستعمارية التي اثارتها الدول الاوربية بتمثيل الاقليات باعتبارها ضعيفة وبحاجة الى حماية من المجتمع الدولي، التي مازالت تثار الى يومنا هذا لتنفيذ سياستها المعروفة فرق تسد.
- عدم مصداقية الدول الاوربية في تعاملها مع المسيحيين واعترتهم اقلية بحاجة الى حماية، رغم انها تناست انهم تعايشوا مع مواطنيهم المسلمين لآلاف السنين.

الهوامش

References

(1) سلوى العطار، التغييرات الاجتماعية في عهد محمد علي ، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٨٩، ص٤٣.

(2) السيد احمد فرج، جذور العلمانية، الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والاسلامية في مصر منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٥. ص٢٢.

(3) سهير حلمي، اسرة محمد علي، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٩٦.

(4) ولد إسماعيل ابن ابراهيم ابن محمد علي باشا في القاهرة ١٨٣٠. اهتم والده بتربيته وتنشاته، وأتقن اللغات العربية والتركية والفارسية، تاثر بالحضارة الأوربية في فرنسا، تدرج في المناصب فاصبح رئيساً لمجلس الأحكام، ثم قائداً للجيش المصري منذ عام ١٨٦١، اصبح حاكماً على مصر للفترة ١٨٧٩-١٨٦٣، ينظر: عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل ١٨٠٥ – ١٨٧٩، ج١، القاهرة ، ١٩٨٧، ص ص ٧٥- ٧٦.

(5) جمال بدوي، محمد علي واولاده، مكتبة الاسرة، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٤٧.

(6) محمد ابراهيم المرشدي، عروبة مصر وأقباطها، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص٥٧.

(7) J. D. Pennington "The Copts in Modern Egypt" Middle Eastern Studies, No2, Vol 19, London, April, 1982,P 160.

(8) عمر الاسكندري، سليم حسن، صفحات من تاريخ مصر منذ الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٣٦.

(9) حنا فهمي ويصا، اسيوط حدوته عائلة مصري، مركز الاهرام، القاهرة، ١٩٩٦، ص٨٥.

(10) Osmanlı Arsivi (Istanbul): C.DH318 /15885.

(11) عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة اسحاق عبيد، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٣٣.

(12) احمد عبد الرحيم مصطفى، علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوي اسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩، دار المعارف، ١٩٧٩، القاهرة، ص ص ١٢-١٣.

(13) منير شكري، رسالة مار مينا الرابعة عشر، قراءات في تاريخ الكنيسة ، مطبوعات جمعية مار مينا العجائبي، الاسكندرية ، ١٩٩٣، ص٢٣.

(14) Iris Habib el Masri,The Story of the Copts,Newberry ,California ,Vol 2,USA,1982, p332.

(15) Saad Eddin Ibrahim ET AL, , The Copts Of Egypt ,Printed In The UK 0n Pleach, London ,1996,P6. https://minorityrights.org

(16) Wilfred Scawen Blunt, Secret History of the English Occupation of Egypt, London, N.D, p125.

(17) ولد محمد عبدة في محافظة البحيرة بمصر عام ١٨٤٩م، تلقى تعليمه في الجامع الازهر، عرف بفكره الاصلاحي ويعد احد ابرز اعلام النهضة العربية الحديثة، لذلك تعرض للنفي من قبل الانكليز، اصبح مفتيا للديار المصرية عام ١٨٩٩م، اصدر مجلة العروة الوثقى، توفي عام ١٩٠٥، للمزيد من التفاصيل، ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم، ط١٥، دار العلم للملايين، ج٦، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٥٢.

(18) ينحدر لويس يعقوب ابراهيم الصابونجي من اصول مدينة ديار بكر في عام ١٨٣٨م، اجاد العديد من اللغات كالتركية والفرنسية والعربية والانكليزية وغيرها، كان استاذا لاحد ابناء السلطان عبد الحميد الثاني، واسس مجلة النحلة فضلا عن جريدة الاتحاد العربي وجريدة الخلافة، كتب مقالات تميزت بانها جرئية ابرزها طعنه بالطائفة المارونية، سافر الى العديد من البلدان كسوريا ولوس انجلوس اذ اغتيل في الاخيرة على يد لص، توفي عام ١٩٣١، ينظر: المصدر نفسه،ج٥، ص٢٤٧.

(19) انطونيوس الانطوني، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها من بعد الاباء الرسل حتى الانتداب البريطاني على مصر، ط٢، المكتبة القبطية، القاهرة، د.ت، ص ٣٩٢.

(20)ولد محمد توفيق ابن الخديوي إسماعيل سنة ١٨٥٢م. تعلم في القاهرة، وقد نشأ محدود الأفق، لم يرسله والده إلى الخارج لإكمال دراسته وإنما اكتفى بإبقائه بجواره ليتمرس بالأعمال، شهد عهده قيام الثورة العرابية ١٨٨١– ١٨٨٢واحتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢، توفي سنة ١٨٩٢، محمد البارودي، تاريخ العائلة الخديوية، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٨٩٧، ص ص ٩–١٠.

(21) ولد مصطفى رياض باشا من اصول تركية عام ١٨٣٣، تعلم اللغتين التركية والعربية من والديه.، دخل مدرسة المفروزة الحكومية، تدرج في المناصب، فأصبح مديراً للجيزة عام ١٨٧٣، ثم مديراً للفيوم وقنا، واصبح رئيسا للديوان الخديوي، عين رئيساً للجنة التحقيق المَالية التي أرسلت لمصر عام ١٨٧٨ للنظر في الأمور المالية، أصبح رئيساً للوزراء. لثلاث دورات توفي سنة١٩١١: "رياض باشا"، مجلة المقتطف، ج٢، مج٣٩،القاهرة، آب، ١٩١١، ص ص ١٠٥– ١٠٦.

(22) الانطوني، وطنية الكنيسة ...، ص ٣٩٢.

(23) رياض سوريال، المجتمع القبطي في مصر في القرن ١٩، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٨١، ص ص ٢٥٦– ٢٥٧.

(24) زخارياس الانطوني، البابا كيرلس الرابع، دار الطباعة القومية، القاهرة، ١٩٩٤،ص ص٢٣–٢٤.

(25) Esmat Elsayed, COPTS IN EGYPT: BETWEEN MINORITY PROTECTION ANDPOWER LEVERAGING, May 2020, https://www.researchgate.net/publication/347910958

(26) Lord Gromer, Modern Egypt, Vol 2 , London, N .D,p p 208-212.

(27) داود عزيز، اقباط مصر بين الماضي والحاضر،مكتبة مار مرقس العامة للكنيسة القبطية، القاهرة، د.ت، ص٨٠.

(28) ET AL, Op. Cit. P6.

(29)F.O 633: from draft of Chapter XXXIV"the native Christians,Minorities in the Middle East"from situation in Egypt :Lord Cromers Account,undated,1917.

(30) F.O,4849/2 P0litical.Bull of 3Lst August,1869.

(31) ادوارد ويكن، اقلية معزولة القصة الحديثة لأقباط مصر، ترجمة نجيب وهبة، هيئة الدراسات القبطية، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٥.

(32) طارق البشري" مصر الحديثة بين احمد والمسيح"، مجلة الكاتب، العدد ١١١، القاهرة، حزيران، ١٩٧٠، ص ص ١١٤–١١٥.

(33) سميرة بحر، الأقباط في الحياة السياسية المصرية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩، ص١٤.

(34) أ.ل.بتشر، تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، مطبعة مصر بالفجالة، ج٤، القاهرة، ١٩٠٧، ص ص ٣٩٠-٣٩١.

(35) Laure Guirguis, The Copts, the Nation, and the Revolution, Banting Postdoctoral Fellow, University of Montreal, Stanford University, 2013,P14.

(36) فرج، جذور العلمانية...، ص٤٩.

(37) بتشر، المصدر السابق، ص ص ٣٩٠-٣٩١.

(38) ولد بطرس غالي في مدينة القاهرة عام ١٨٤٦. تلقى تعليمه في مدرسة حارة السقائين ثم في مدرسة الأقباط الكبرى، اتقن اللغتين الفرنسية والعربية، عمل مترجماً في مجلس التجارة بالإسكندرية عام ١٨٦٧، تدرج في المناصب، ووقف إلى جانب الثورة احمد عرابي، أصبح وزيراً للمالية، ووزيرا للحقانية- وزيراً للخارجية. اغتيل في عام ١٩١٠، ينظر:"بطرس باشا غالي"، مجلة المقتطف، ج٤، مج٣٦،القاهرة، نيسان، ١٩١٠، ص ص ٤٠- ٤١.

(39) أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية، دراسة استطلاعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١١٧.

(40) عطية، المصدر السابق، ص ص ١٣٦-١٣٧.

(41) Pennington, Op. Cit, P.160.

(42) مصطفى الفقي، الأقباط في الحياة السياسية المصرية مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية، ط٢، دار الشروق، د.م، ١٩٨٨، ص٤١.

(43) Azmy & Saied, Op.Cit., p.108.

(44) Ibrahim ET AL,Op. Cit., P.6.

(45) Magdi Guirguis &Nelly van Doorn-Harder,The Emergennce of the Modern Coptic Papacy,the American University in Cairo Press,Cairo-New York,N,D, pp. 99-100.

(46) احمد شفيق باشا" مذكراتي في نصف قرن ، مطبعة مصر، ج٢، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٩١٢ .

(47)عهدي مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير ١٨٩٢-١٩١٤، ترجمة جلال يحيى، دار الشرق، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢٥٦

(48)مصطفى الغريب محمد، تمثيل الأقليات في البرلمان المصري بين المعارضة والتأييد عام ١٩٢٢، مجلة مصر الحديثة، جامعة بنها، مصر، مج١٤، ص٢٤٥.

(49) ينحدر نوبار نوباريان ١٨٢٤-١٨٩٩ من عائلة ارمنية قدمت من غراباغ سكنت ازمير، تلقى تعليمه في باريس، اتقن العديد من اللغات كالتركية ولإيطالية والانكليزية و اليونانية، قدمت عائلته الى مصر عام ١٨٤٣، تدرج في المناصب،اصبح وزيرا للاسكان والمرافق العامة عام ١٨٦٥، فوزيراً للخارجية لاربع مرات، وزيرا للتجارة عام ١٨٧٦، ثم رئيسا للحكومة للفترات ١٨٧٨-١٨٧٩، ١٨٨٤-١٨٨٩، ١٨٩٤-١٨٩٥، لقب بابو الفلاح او صديق الفلاح ووصفه مواطنه المؤرخ المصري محمد صبري بانه"نعمة عظيمة لمصر"، توفي عام ١٨٩٩، ينظر: هوري عزازيان، الجاليات الارمنية في البلاد العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، حلب،٢٠٠٠، ص ص ١٥١-١٥٢.

(50) مصطفى، علاقات مصر بتركيا ...، ص ٣٤.

(51) مذكرات نوبار باشا، ترجمة جارو روبير طبقيان، ط٢، دار الشروق، القاهرة،٢٠١٥، ص ٣٣٠.

(52) يونان لبيب رزق، تاريخ الوزارات المصرية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٧٥، ص٥٣.

(53) المصدر نفسه، ص١٣.

(54) بدوي، المصدر السابق، ص ص ٢٥١-٢٥٢.

(55) رزق، تاريخ الوزارات...، ص٦٠.

(56) حلمي، المصدر السابق، ص٢١٩.

(57) طلعت اسماعيل رمضان، الادارة البريطانية في فترة السيطرة البريطانية، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٢٤.

(58) وصلت انباء الى احمد عرابي بتأسيس حزب سري يضم ملاكي الأراضي وعلماء الدين والسياسيين في ١٨٧٩م عرف بأسم الحزب الوطني الأهلي، اذ كان برئاسة محَمد شَريف باشا، وكان قد اتخذ من حلوان مقرا له. وجرى اتصال بين الجمعية السرية لضباط الجيش المصري-مصر الفتاة- الحزب الوطني الاهلي لتوحيد العمل بينهما، فتم الاندماج واعلن عن قيام الحزب الوطني الذي انيطت قيادته باحمد عرابي وضم نقيب الاشراف السيد البكري واخرون، للمزيد من التفاصيل ينظر:

Azmy & Saied, op. Cit., p.106.

(59) وثائق الحزب الوطني المصري" مجلة الطليعة، القاهرة، شباط، ١٩٦٥. ص ص ١٤٨-١٤٩.

(60) ويصا، اسيوط ...، ص ١٦٢.

(61) بدوي، المصدر السابق، ص ص ٢٥١-٢٥٢.

(62) لمعي المطيعي، موسوعة هذا الرجل من مصر، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٩٤ص٤٢٨.

(63) D.A. Farnie, East and West of Suez 1854-1956, Ciarendon Press, Oxford, 1969, P. 283.

(64) Darrell I. Dykstra, Egypt in the Nineteenth Century-The Impact of Europe upon Anon-Western Society, Michigan Ann Arbor, N.B, 1979, P.P. 20.

(65) Blunt ,O.P.Cit,P 106.

(66) رمزي تادرسي، الأقباط في القرن العشرين، مطبعة جريدة مصر ج٢، القاهرة، د.ت، ص ٩٠.

(67) ولد عباس حلمي الثاني في مدينة القاهرة عام ١٨٧٤. درس في مدرسة عابدين، أكمل دراسته في جنيف بسويسرا، شهدت مصر في فترة حكمه نهضة علمية كبيرة منها إطلاق حرية المطبوعات، توفي عام ١٩١٤. ينظر: جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع، ج١، د.م، د.ت، ص ص٨١- ٨٢.

(68) تادرسي، المصدر السابق، ص١٠٥.

(69) سعد عبد الرزاق، بطرس غالي الاغتيال سياسي...فماذا وراءه وماذا بعده؟، صرح للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠، ص٨.

(70) عزيز، اقباط مصر ...، ص٦٦.

(71) طارق البشري، المسلمون والاقباط في إطار الجماعة الوطني، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص٤٠.

(72) رزق، تاريخ الوزارات...، ص٣٩.

(73) محمود شاكر، التاريخ المعاصر، مصر والسودان ١٩٢٤-١٩٨٩، المكتب الاسلامي، دمشق، ١٩٩١، ص ١٣.

(74) زاهر رياض، المسيحيون والقومية المصرية، دار الطباعة القومية بالفجالة، ١٩٧٨، ص ص ١٢٠-١٢١.

(75) المصدر نفسه، ص ص ١٢٦-١٢٧.

(76)Jason Brownlee, The The Violence Against Copts In Egypt, Carnegie Endowment for International Peace. All rights reserved,N.P, 2013, P20.

(77) محمد حسنين هيكل، تراجم مصرية وغربية، مطبعة مصر، القاهرة، د.ت، ص١١٧.

(78) عهدي مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير ١٨٩٢-١٩١٤، ترجمة جلال يحيى، دار الشرق، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٠٣.

(79) بحر، المصدر السابق، ص٥٣.

(80) زاهر، المصدر السابق، ص ١٤٢.

(81) تادرسي، المصدر السابق، ص ص ٩٦-٩٧.

(82) عبد الرزاق، بطرس غالي ...، ص٨..

(83) المصدر نفسه، ص٨.

(84) علي ليلة، دور الاقباط في بناء المجتمع المصري في، الاقباط في مصر بعد الثورة، تأليف: مجموعة باحثين، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، ٢٠١٢، ص ص ٢٥-٢٦.

(85) ET AL, Op., Cit, P.6.

(86) جاك تاجر، اقباط ومسلمون منذ الفتح الاسلامي حتى عام ١٩٢٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ١٩١٢، ص٢٥٠

(87) المصدر نفسه، ص٢٥٠-٢٥١.

(88) ريمون فلاور، مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر، ترجمة سيد احمد علي الناصري، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٢٢.

(89) ليلة ، المصدر السابق، ص ص٢٦ -٢٧.

(90) سليمان، الاقباط بين... ، ص ٤٠.

(91) عبد الرحمن الرافعي، محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨، ص٣١٢.

(92) تقرير الحالة الدينية في مصر ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالاهرام، القاهرة ، ١٩٩٥، ص ص ١٤٧-١٤٨؛ فيفيان فؤاد، الاقباط والعمل الاجتماعي في مصر اليات للاندماج والحضور المجتمعي، في: الاقباط في مصر بعد الثورة ، تأليف: مجموعة باحثين، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، ٢٠١٢، ص ص ٦٩-٧٠.

(93) مازن يوسف، البابا شنودة، حوارات في الايمان والثقافة والوطنية، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١، ص٦٣.

(94) فلاور، المصدر السابق، ص٢٢٢.

(95) الرافعي، محمد فريد ...، ص ص٣١٣-٣١٤.

(96) حلمي، المصدر السابق، ص٢٧٢.

(97) المطيعي، المصدر السابق، ص١٩٠.

(98) ولد حسين رشدي في القاهرة عام ١٨٦٣م، درس الحقوق في باريس، عاد الى مصر عام ١٨٩٢، وعين في وزارة المعارف، أصبح عام ١٩١٠ وزيرا للعدل ثم وزيرا للخارجية عام ١٩١٤، تدرج في المناصب العليا، تولى رئاسة الحكومة لاربع مرات للدورات ابان الفترة ١٩١٤-١٩١٠، واصبح نائبا لرئيس مجلس الوزراء عام ١٩٢١، توفي عام١٩٢٨، ينظر: زكي فهمي، صفوة العصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ص ١٦٥-١٦٦.

(99) عطية، المصدر السابق، ص٥٩.

(100) بحر، المصدر السابق، ص ٦٨.

(101) Tom Little, Modern Egypt, Ernest Benu Limited, London, 1967, p. 70.

(102) الينور بيرنز، الاستعمار البريطاني في مصر، ترجمة احمد رشدي صالح؛ في احمد رشدي صالح: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٢٨.

(103) عبد الرحمن الرافعي، ثورة سنة ١٩١٩، مكتبة النهضة العربية،ج١، القاهرة، ١٩٤٦، ص٢٧.

(104) ولد في قصر والده الخديوي اسماعيل في الجيزة عام ١٨٦٨م، وهو اخ السلطان حسين، تعلم في مدارس جنيف بسويسرا، نصب سلطانا عام ١٩١٧، اعلنته بريطانيا ملكا على مصر بعد صدور تصريح ٢٢ شباط ١٩٢٢، توفي عام١٩٣٦، ينظر: فهمي، صفوة العصر، ص٩.

(105) محسن محمد، عندما يموت الملك، دار التعاون، القاهرة، د.ت، ص١٦.

(106) عطية ، المصدر السابق، ص ص ١٣٦-١٣٧.

(107) رمزي ميخائيل، الوفد والوحدة الوطنية في ثورة ١٩١٩، دار العربي البستاني، القاهرة، د.ت ص ص ١٢٤-١٢٥.

(108) المصدر نفسه، ص ص ١٢٤-١٢٥.

(109) المصدر نفسه ، ص ٦٩.

(110) البشري، المسلمون والاقباط ....، ص ص ١٣٠-١٣١.

(111) محمود ابو الفتح، مع الوفد المصري، ص١٠.

(112) ملاك لوقا، الاقباط النشأة والصراع من القرن الاول الى القرن العشرين، مكتبة انجيلوس، القاهرة، ٢٠٠١، ص٥٢٣.

(113) طلعت اسماعيل رمضان، الإدارة المصرية في فترة السيطرة البريطانية، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، د.ت، ص١٢٣.

(114) مذكرات فخري عبد النور، ثورة ١٩١٩ دور سعد زغلول والوفد في الحركة الوطنية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٣.

(115) F. O, 4849/2 P0litical.Bull of 3Lst August, 1869.

(116) البشري، المسلمون والاقباط ...، ص١٦٢.

(117) سليمان شفيق، الاقباط بين الحرمان الكنسي والوطني، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٢.

(118) ولد إدموند هنري هاينمان اللنبي في لندن عام ١٨٦٦م. تخرّج من الكلية العسكرية الملكية في ساندهيرست عام ١٨٨١، شارك في العديد من الحملات العسكرية التي قادتها بريطانيا لإخضاعها، منها مشاركته في حرب البوير في جنوب افريقيا ١٨٩٩-١٩٠٢، رقي الى رتبة مارشال عام ١٩١٩، أصبح القائد العام للقوات البريطانية ومفوضا ساميا في مصر ١٩١٩-١٩٢٥، توفي عام ١٩٣٦، للمزيد من التفاصيل، ينظر: بسام العسلي، الماريشال اللنبي ١٨٦١-١٩٣٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص١١.

(119) محمد شفيق غربال، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية، مكتبة النهضة المصرية، ج١، القاهرة ١٩٥٢، ص١١٠.

(120) طارق متري، المسيحيون في المشرق العربي، قراءة في التاريخ المعاصر، في: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجلس كنائس الشرق الاوسط، بيروت، ٢٠٠١، ص٨٤٥.

(121) منى مكرم عبيد، مكرم عبيد ١٨٨٩-١٩٨٩، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٠، ص ٣١.

(122) نجيب وهبة، مسيحيو مصر الى اين؟، القاهرة، د.ت، ص١٩٥.

(123) البرت شقير، الدستور المصري والحكم النيابي في مصر وتاريخ ذلك من سنة ١٨٦٦ الى الان، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٢٤، ص ص ١٦-١٧.